بسم الله الرحمن الرحيم

ابن عبد البرّ

ومنهجه في كتابه

"التمهيد والاستذكار"

إعداد :

محمد بن عبد الله آل معدي

بتوجيه من فضيلة الشيخ

الأستاذ الدكتور/ إبراهيم بن محمد الصيحي

الأستاذ بقسم السنة وعلومها

١٤٢٦هـ

اسم الكتاب وكاتبه (التمهيد - الاستذكار)

- ترجمة موجزة له

* أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي
* - ولد ٣٦٨هـ

* تلاميذه : أبو الوليد الباجي - خلف بن قاسم ابن الدباغ
* شيوخه : أبو علي الغساني - أبو محمد بن حزم - أبو عبيد الله الحميدي
* مؤلفاته : التمهيد - الاستذكار - الاستيعاب - جامع بيان العلم
* ثناء العلماء :

① - أبو الوليد الباجي : « لم يكن بالأندلس مثل أبي عمر ابن عبد البر في الحديث، وحواه حفظاً أهل المغرب »

② - الذهبي : « لقد كان أبو عمر ابن عبد البر بحر العلم، واشتهر فضله في الأقطار ».

③ - ابن بشكوال : « ابن عبد البر : إمام عصره، وواحد دهره ».

* وفاته : ٤٦٣هـ في مدينة شاطبة عن (٩٥) سنة.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله ... أما بعد:

فهذه ورقات كتبتها على عُجالة من أمري، تحدثت فيها عن: **الإمام ابن عبد البر، ومنهجه في كتابيه "التمهيد والاستذكار"**، أسأل الله أن ينفع بها، وأن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم ....

۞ تعريف موجز بالإمام ابن عبد البر:

۞ **هو**: الإمام الحافظ أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النَّمَري الأندلسي القرطبي المالكي

۞ **ولد**: سنة ٣٦٨هـ، **ونشأ** في بيت علم وصلاح، حيث كان أبوه من فقهاء قرطبة، والغريب في ترجمته أنه لم يغادر الأندلس، لكنه تنقل في أرجائها شرقاً وغرباً؛ فسكن دانيه وبلنسيه وشاطبه، وتولى قضاء أشبونة التي هي عاصمة البرتغال اليوم.

۞ **شيوخه**: من أشهرهم:

١- أبو عمر الباجي. ٢- خلف بن قاسم المعروف بابن الدباغ. ٣- أبو عمر الطَّلَمَنْكي.

۞ **تلاميذه**: من أشهرهم:

١- أبو علي الغساني. ٢- أبو محمد بن حزم. ٣-أبو عبد الله الحميدي.

۞ **مؤلفاته**: كثيرة منها:

١-التمهيد. ٢- الاستذكار. ٣- الاستيعاب. ٤- جامع بيان العلم وفضله. ٥- الكافي في فقه أهل المدينة المالكي. ٦- الاستغناء في معرفة المشهورين من حملة العلم بالكنى. ٧- بهجة المجالس، وأنس المُجالس، وغيرها.

وقد سردها الذهبي في كتابيه التذكرة والسير، وقال: " كان موفقاً في التأليف، معاناً عليه، ونفع الله بتواليفه" [1].

۞ **ثناء العلماء عليه**: أثنى عليه كثير من العلماء، فقال أبو الوليد الباجي: "لم يكن بالأندلس مثل أبي عمر ابن عبد البر في الحديث، وهو أحفظ أهل المغرب".

وقال الذهبي: "لقد كان أبو عمر ابن عبد البر من بحور العلم واشتهر فضله في الأقطار".

وقال ابن بَشكُوال: "ابن عبد البر: إمام عصره، وواحد دهره"

۞ **وفاته**: توفي سنة (٤٦٣هـ) في مدينة شاطبة، رحمه الله، ورضي عنه. عمر ٩٥ سنة .

۞۞۞۞۞۞

(١) سير أعلام النبلاء (١٨/١٥٨).

(التمهيد)

* قيمة الكتاب العلمية :-

شرح الموطأ الذي قال فيه الشافعي : ما على وجه الأرض كتاب بعد كتاب الله أصح من كتاب مالك .

① - قال ابن حزم : لا أعلم في الكلام على فقه الحديث مثله ، فليتنبه لما حسن عنه .

② - أبو علي الغساني : هو كتاب لم يتقدمه أحد .

③ - عبد الرحيم بن عبد السلام : هو أبي كتب الإسلام في العلم مثل (المحلى) لابن حزم ، و (المغني) للموفق ، ④ منتقى الأخبار ، لقد جمع من علوم الدين وأسراره (السنن الكبير) للبيهقي ورابعها (التمهيد) لابن عبد البر ، فمن حصل هذه الدواوين ، وحكم ما فيها من أذكياء الفقهاء ، وأدمن المطالعة فيها ، فهو العالم حقاً .

* منهج المؤلف في ترتيب الكتاب إجمالاً :-

① بدأ بمقدمة تضمنت ثلاثة أمور

② مقصده في الشرح وبيان منهجه وطريقته .

③ التعريف بجملة من علوم الحديث ، المرسل والمسند والمنقطع والمتصل .

⑤ ترجمة للإمام مالك وفضل موطئه وأخباره .

④ رتبه على أحد وستين باباً .

⑥ ذكر آخر الكتاب باباً شرح فيه ما ورد في مالك ووصفها .

⑦ ذكر آخره إحصائية لعدد الأحاديث التي اشتمل عليها الموطأ من مرسل ومسند وموصول ومنقطع

(٨٠٣ حديثاً)

منهج الإمام ابن عبد البر في كتابه: " التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد"

۞ قيمة الكتاب العلمية:

لهذا الكتاب قيمة عظيمة، ومنزلة رفيعة، فهو شرح للموطأ، الذي قال فيه الشافعي قولته المشهورة: "ما على الأرض كتاب بعد كتاب الله أصح من كتاب مالك"

وهذا الكتاب يعتبر من أنفس شروح الموطأ، وأعظمها قدراً، قال ابن حزم: " لا أعلم في الكلام على فقه الحديث مثله، فكيف بأحسن منه"، وقال أبو علي الغساني: " هو كتاب لم يتقدمه أحد"

ونقل الذهبيُّ قولَ عز الدين بن عبدالسلام، حيث قال: " ما رأيت في كتب الإسلام في العلم مثل المحلى لابن حزم، وكتاب المغني للشيخ موفق الدين" فعقَّب عليه الذهبي قائلاً: " لقد صدق الشيخ عز الدين، وثالثهما السنن الكبير للبيهقي، ورابعها التمهيد لابن عبدالبر؛ فمن حصّل هذه الدواوين، وكان من أذكياء المفتين، وأدمن المطالعة فيها، فهو العالم حقاً" [١]

۞ منهج المؤلف في ترتيب الكتاب إجمالاً:

١- بدأ كتابه بمقدمة تضمنت ثلاثة أمور، هي:

أ- ذكر مقصده في الشرح، وبيان منهجه وطريقته.

ب- التعريف بجملة من علوم الحديث، كالمرسل والمسند والمنقطع والمتصل والتدليس....

ت- عقد باباً ذكر فيه عيوناً من أخبار الإمام مالك، وفضل موطأه.

٢- شرع في شرح الأحاديث مرتبةً على أسماء شيوخ مالك.

٣- عقد باباً في آخر الكتاب؛ شرح فيه بلاغات مالك، ووصلها، قال في أوله: "باب بلاغات مالك ومرسلاته مما بلغه عن الرجال الثقات وما أرسله عن نفسه في موطئه ورفعه إلى النبي ﷺ وذلك أحد وستون حديثاً"[٢]

٤- ذكر في آخر كتاب إحصائية لعدد الأحاديث الواردة في موطأ مالك، فقال: "جميع ما في هذا الديوان من حديث مالك الذي ثبتت عليه أبوابه خاصة، وهو جميع ما في الموطأ: رواية يحيى بن يحيى، من حديث النبي ﷺ: مسنده، ومرسله، ومنقطعه، ثمانمائة وثلاثة وخمسون حديثاً."[١]

---

(١) السير (١٨/١٩٣)

(٢) التمهيد (٢٤/١٦١)

طريقة في الشرح :-

① رتبه على الشيوخ ، ورتبهم على حروف الهجاء ويبدأ بكل حرف . (الشيوخ)
② رتب الأحاديث في أحد الشيوخ يبدأ بالمتصل ثم المنقطع والمرسل. (الأحاديث)
③ لغيره لكل حديث ويذكر رقمه ونوعه. حديث أول للتلاميذ مسند . (عناوين الأحاديث)
④ يذكر اختلاف الروايات ويرجح. (الاختلافات الروايات)
⑤ يشرح الغريب ، ويذكر شواهدها من الحديث والشعر العرب. (الغريب)
⑥ يعتني بشرح المسائل الظاهرة . (المسائل الظاهرة)
⑦ يعتني بذكر الإسناد وشرح الحديث وتخريجه. (تخريج الإسناد)
⑧ لا يكرر شرح الحديث ويحيل على موضعه . (التكرار)
⑨ يختصر في ذلك كله ما أمكنه اختصاره. (الاختصار)

مصطلحات في الشرح :-

① اقتصر على شرح المسند المرفوع ، وما كان موقوفاً أو مقطوعاً والتابعين وأقوال السلف لم يقصد بالشرح .
② اعتمد على رواية يحيى من بين الثلاثة . وعلل ذلك :
   ⓐ منزلة يحيى عند أهل بلده
   ⓑ لكثرة استعمالهم لروايته .
   ⓒ لم يقف على أحكام الأحاديث على جميع الموطأ وما في أحاديث الجامع .
   ⓓ أنه آخر أصحاب مالك عرضاً عليه .
   ⓔ أحياناً يسقط من روايته فيما اختيار مالك .

منهج الإمام ابن عبد البر في كتابه: " التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد"

۞ قيمة الكتاب العلمية:

لهذا الكتاب قيمة عظيمة، ومنزلة رفيعة، فهو شرح للموطأ، الذي قال فيه الشافعي قولته المشهورة: "ما على الأرض كتاب بعد كتاب الله أصح من كتاب مالك"

وهذا الكتاب يعتبر من أنفس شروح الموطأ، وأعظمها قدراً، قال ابن حزم: " لا أعلم في الكلام على فقه الحديث مثله، فكيف بأحسن منه"، وقال أبو علي الغساني: " هو كتاب لم يتقدمه أحد"

ونقل الذهبيُّ قولَ عز الدين بن عبدالسلام، حيث قال: " ما رأيت في كتب الإسلام في العلم مثل المحلى لابن حزم، وكتاب المغني للشيخ موفق الدين" فعقَّب عليه الذهبي قائلاً: " لقد صدق الشيخ عز الدين، وثالثهما السنن الكبير للبيهقي، ورابعها التمهيد لابن عبدالبر؛ فمن حصّل هذه الدواوين، وكان من أذكياء المفتين، وأدمن المطالعة فيها، فهو العالم حقاً" [١]

۞ منهج المؤلف في ترتيب الكتاب إجمالاً:

١- بدأ كتابه بمقدمة تضمنت ثلاثة أمور، هي:

أ- ذكر مقصده في الشرح، وبيان منهجه وطريقته.

ب- التعريف بجملة من علوم الحديث، كالمرسل والمسند والمنقطع والمتصل والتدليس....

ت- عقد باباً ذكر فيه عيوناً من أخبار الإمام مالك، وفضل موطأه.

٢- شرع في شرح الأحاديث مرتبةً على أسماء شيوخ مالك.

٣- عقد باباً في آخر الكتاب؛ شرح فيه بلاغات مالك، ووصلها، قال في أوله: "باب بلاغات مالك ومرسلاته مما بلغه عن الرجال الثقات وما أرسله عن نفسه في موطئه ورفعه إلى النبي ﷺ وذلك أحد وستون حديثاً"[٢]

٤- ذكر في آخر كتاب إحصائية لعدد الأحاديث الواردة في موطأ مالك، فقال: "جميع ما في هذا الديوان من حديث مالك الذي ثبتت عليه أبوابه خاصة، وهو جميع ما في الموطأ: رواية يحيى بن يحيى، من حديث النبي ﷺ:مسنده، ومرسله، ومنقطعه، ثمانمائة وثلاثة وخمسون حديثاً."[١]

---

(١) السير (١٨/١٩٣)

(٢) التمهيد (٢٤/١٦١)

طريقة في الشرح :-

① رتبة في الشيوخ ، ورتبهم في حروف الهجاء ويبدأ لكل حرف . (السنن)
② رتب الأحاديث في أحاديث الشيوخ يبدأ بالمتصل ثم المنقطع والمرسل. (الأحاديث)
③ لغويه لكل حديث ويذكر رقمه ورتبه. حديث أول للتلاميذ مسند . (عاشر الأحاديث)
④ يذكر اختلاف الروايات ويرجح. (الاختلاف في الأحاديث)
⑤ يشرح الغريب ، ويذكر شواهدها من الحديث وأشعار العرب. (الغريب)
⑥ يعتني بشرح المسائل الظاهرة . (المسائل الظاهرة)
⑦ يعتني بذكر أسانيد آثار شرح الحديث وطرقه. (ذكر الإسناد)
⑧ لا يكرر شرح الحديث ويحيل على موضعه . (التكرار)
⑨ يختصر في ذلك كله اختصارا . (الاختصار)

مقصده في الشرح :- ومآله حكم الرفع

① اقتصر على شرح المسند المرفوع ، وما كان من أقوال الصحابة والتابعين وأقوال مالك لم يقصد بالشرح .
② اعتمد على رواية يحيى من يحيى الليثي . وعلل ذلك :
⑧ مفارقة يحيى عند أهل بلده
⑨ كثرة استدراكهم لرواته .
⑩ لم يفته من أحاديث الأحكام إلا حديث واحد من يحيى لمالك والباقي من أحاديث الجامع .
⑪ أنه آخر أصحاب مالك عرضا عليه .
⑫ ما سقط من رواته فباختيار مالك .

۞ منهج المؤلف في شرح الأحاديث:

ذكر المؤلف طريقته في شرح الأحاديث في مقدمة كتابه، ويمكن تلخيصها فيما يلي:

١- رتب أحاديث الكتاب على أسماء شيوخ مالك، ورتب الشيوخ على حروف المعجم، وكان يبوب للحرف فيقول مثلاً: باب الألف، ثم يذكر فيه شيوخ مالك الذين تبدأ أسماؤهم بالألف.

٢- رتب أحاديث كل شيخ، فبدأ بالمتصل منها، ثم المنقطع والمرسل، **مثاله:** ترجم لإسماعيل بن أبي حكيم، وذكر بأن مالكاً روى عنه أربعة أحاديث،واحد متصل،وبدأ به، وثلاثة منقطعة مرسلة[٢]

٣- يُعنون لكل حديث من أحاديث شيوخ مالك، ويذكر رقمه، ونوعه، مثال ذلك: إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة الأنصاري، روى عنه مالك خمسة عشر حديثاً، عنْوَن له ابن عبد البر، فقال[٣]:

- حديث أول لإسحاق، عن أنس مسند.
- حديث ثاني لإسحاق، عن أنس مسند.
- .....
- حديث ثالث عشر لإسحاق، عن زفر بن صعصعة.

٤- يذكر اختلاف الروايات عن مالك في كل حديث، ويرجح، ثم يتكلم على الاختلافات الأخرى في الحديث إن وجدت، ولا يكاد يخلو حديث من أحاديث الموطأ من بيان أوجه الاختلاف والاتفاق بين تلاميذ مالك فيه، ويرجح بينها.

٥- يشرح غريب الألفاظ ويبينها، ويذكر لها شواهد من الأحاديث، وأشعار العرب، وهذا قليل.

٦- يعتني في شرحه للحديث بالمسائل الظاهرة التي دل عليها الحديث، وبذكر الفوائد المستنبطة، ولا يلتزم موضعاً معيناً في ذكرها، فمرةً يذكرها في أول الشرح، ومرةً في آخره.

٧- يعتني بذكر الأحاديث والآثار في أثناء الشرح بسنده هو، لذا نجده أحياناً ينبه على طرقه لبعض الرويات، فمثلاً قال: " وكل ما في كتابنا من موطأ ابن وهب فهو بهذين الإسنادين عن سحنون، وما كان من غيرها ذكرناه بإسناده إن شاء الله "[١]

---

(١) التمهيد (٢٤/٤٤٤)

(٢) التمهيد (١/١٣٩)

(٣) (١/١٩٨)

منهجه في تراجم رواة الأحاديث:

(١) لم يترجم لأحد من الصحابة إلا نادرًا ولعله اكتفاء بالاستيعاب.

(٢) ترجم للتابعين ترجمة موسعة.

(٣) يترجم للشيوخ مما لم تراجم موسعة تتناول فيها:

(٤) اسمه ونسبه وكنيته ولقبه.

(٥) حكمه على الراوي من حيث الجرح والتعديل.

(٦) عدد أحاديثه التي رواها عنه مالك، وسنده.

(٤) يأتي الرواة الذين يترجم لهم استطرادًا.

طريقته في نقد الأسانيد والمتون والحكم على الأحاديث:

(١) يذكر حكم الحديث في الموطأ أو صحته في نفسه.

(٢) ينقل أحيانًا كلام الأئمة في تعليل الأحاديث.

(٣) يبين الأوهام والأخطاء في الأسانيد والمتون.

(٤) يتكلم على أحوال الأسانيد وما فيها من تفرد ومخالفة.

منهجه العقدي:

عن أئمة السلف قال الذهبي: «كلامه في أصول الديانة على مذهب السلف، لم يدخل في علم الكلام، بل عما آثار شيوخه رحمهم الله».

ولا يكاد يوجد ما وقع فيه بعض الصفات، ولكنها قليلة مغمورة في بحر حسناته وفضله وعلمه وقد زلت صفة الضحك حيث أوردها بالرحمة فقال: نضحك الله أي يرحم الله عبده.

منهجه الفرعي:

(١) لا يشك أنه مالكي المذهب (٢) كان أول أمره ظاهريًا كما قال الذهبي ثم تحول مالكيًا مع ميل لآراء فقه الشافعي في مسائل.

(٣) كان إذا ظهر له الدليل اتبعه ولو خالف مذهبه. (٤) وإذا ذكر مالكًا ذكر أدلته وترجيحاته.

٨- لا يكرر الكلام على فقه الحديث، وعند ورود ما يشهد له في حديث آخر، يذكر أنه تقدم ذكر هذه المسألة في باب فلان عن فلان.

وإذا ورد ذكر مسألة في حديث، وكان الأليق بها حديث آخر يقول مثلا: سيأتي ذكرها في باب حديث فلان بن فلان.

٩- راعى الاختصار في ذلك كله، حيث يقول: "معتمداً في ذلك كله على الاختصار ضارباً عن التطويل والإكثار..."[٢] وهذا بالنسبة لحجمه هو.

۞ مقصده في الشرح:

١- اقتصر المؤلف في الشرح على المسند-وهو المرفوع عنده-، أما أقوال الصحابة والتابعين، وما ذكره من أقوال مالك فلم يقصده بالشرح في كتابه، ويدخل في شرطه ما له حكم الرفع، حيث قال: "..وكل ما يمكن إضافته إليه صلوات الله وسلامه عليه ".[٣]

٢- اعتماده على رواية يحيى بن يحيى الليثي الأندلسي، وعلَّل ذلك بما يلي[٤]:

أ- منزلة يحيى عند أهل بلده من الثقة والدين والفضل والعلم والفهم.

ب- لكثرة استعمالهم لروايته وراثةً عن شيوخهم وعلمائهم.

ت- أن ما فاته من أحاديث الأحكام إلا حديث طلحة بن عبد الملك، أما بقية الأحاديث التي فاتته فهي من أحاديث الجامع، وليست من أحاديث الأحكام.

ث- أن يحيى الليثي آخر أصحاب مالك عرضاً عليه.

ج- أن ما سقط من رواية يحيى فعن اختيار مالك وتمحيصه.

۞ منهج المؤلف في تراجم رواة الأحاديث:

١- لم يترجم لأحد من الصحابة إلا نادراً، ولعله اكتفاءً بما ألفه في تراجم الصحابة ﷺ.

٢- ترجم لمالك ترجمة موسعة في مقدمة كتابه.

---

(١) (٩٩/١).

(٢) (١٠/١).

(٣) (٨/١)

(٤) (١٠٠/٦)

٣- يترجم لشيوخ مالك تراجم موسعة، يتناول فيها:

أ - اسمه ونسبه و شيوخه وتلاميذه.

ب- حكمه على الراوي، وقد يذكر ما قيل فيه جرحاً أو تعديلاً.

ت- عدد أحاديثه التي رواها مالك عنه في الموطأ، ويبين نوعها.

٤- باقي رواة أسانيد الأحاديث التي يذكرها في الشرح لا يترجم لهم إلا نادراً، ويكتفي بذكر حكمه عليهم جرحاً أو تعديلاً عند الحاجة لذلك.[١]

۞ طريقة المؤلف في نقد الأسانيد والمتون، والحكم على الأحاديث:

١- يذكر حكم الحديث في العنوان، مثاله: حديث ثاني لأيوب السختياني، مسند صحيح.

وغالباً ما يذكر حكمه على الحديث في بداية شرحه للحديث.

٢- ينقل أحياناً كلام الأئمة في تعليل الأحاديث، ونقدها وتصحيحها.[٢]

٣- يُبين الأخطاء والأوهام في الأسانيد والمتون.

مثال ذلك: قال المؤلف:"...وهكذا رواه جماعة الرواة عن مالك، لاخلاف بينهم فيه عنه، ورواه ابن عيينة عن إسماعيل بن محمد بن سعد، عن أنس، والقول عندهم قول مالك، والحديث محفوظ لعبدالله بن عمرو ابن العاص"[٣]

٤- يتكلم على علل الأسانيد، ويبيّن ما وقع فيها من التفرد والمخالفة.

مثال ذلك: قال المؤلف:"... وهذا حديث قد جاء الا أنه لا يحتج بمثله لضعف اسناده ولا يعرج عليه لأنه يدور على عبدالكريم بن أبي المخارق وليس يرويه غيره وهو ضعيف متروك الحديث"[٤]

۞ مذهب المؤلف العقدي، وتأثيره في الشرح:

الحافظ ابن عبد البر إمام من أئمة السلف، أهلِ السنة والجماعة، ومن الراسخين في العلم، قال الذهبي: "كان في أصول الديانة على مذهب السلف، لم يدخل في علم الكلام؛ بل قفا آثار مشايخه رحمهم الله"[١]

---

(١) ينظر مثلاً: (١/١٦١، ٣٢٦)

(٢) ينظر مثلاً: (١/١٠٢، ٢٥٣)

(٣) (١/١٣٢)

(٤) (١/١٦١)

R

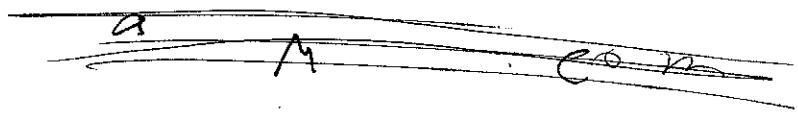

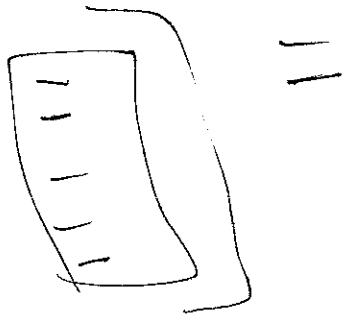

وكان رحمه الله على مذهب السلف خاصة في باب الأسماء والصفات، حيث كان يحرص على اتباع الدليل؛ فأثّر على شخصيته، حيث كان يكثر من قول : "والعبرة بالكتاب والسنة، و لاعبرة بخلافهما" ونحو ذلك من العبارات.

ومما يدل على سلامة منهجه رحمه الله، أنه لما تكلم على حديث النزول أتى فيه بالقول الصواب، حيث قال: "وفيه دليل على أن الله عز وجل في السماء على العرش من فوق سبع سموات، كما قالت الجماعة، وهو من حجتهم على المعتزلة والجهمية في قولهم: إن الله عز وجل في كل مكان، وليس على العرش، والدليل على صحة ما قال أهل الحق في ذلك قوله تعالى..."[٢] ثم سرد أدلةً من كتاب الله تعالى.

ولا يعكر على ذلك سوى وقوعه في تأويل بعض الصفات، وهي قليلة، ومغمورة في بحر فضله وعلمه، ومنها: أنه لما تكلم عن صفة الضحك أولّها، فقال: " وأما قوله :يضحك الله، فمعناه يرحم الله عبده عند ذاك ويتلقاه بالروح والراحة والرحمة والرأفة، وهذا مجاز مفهوم..." إلى أن قال: "وأهل العلم يكرهون الخوض في مثل هذا وشبهه من التشبيه كله في الرضا والغضب، وما كان مثله من صفات المخلوقين، وبالله العصمة والتوفيق"[٣]

مذهب المؤلف الفرعي، وتأثيره في الشرح:

١- كان الحافظ ابن عبد البر على مذهب الإمام مالك، ويظهر هذا جلياً من اهتمامه بالموطأ ~~إلا أنه لم يكن مالكياً متعصباً~~

٢- وقيل كان أول أمره ظاهرياً، ثم تحوّل إلى مذهب الإمام مالك.

قال الذهبي: " كان إماماً ديناً ثقةً متقناً علامةً متبحراً صاحب سنة واتباع، وكان أولا أثرياً ظاهرياً فيما قيل، ثم تحوّل مالكيا مع ميل بين إلى فقه الشافعي في مسائل، ولا ينكر له ذلك؛ فإنه ممن بلغ رتبة الأئمة المجتهدين". [٤]

٣- وكان المؤلف متى ما ظهر له الدليل اتبعه، وإن خالف مذهبه، وكان يصرّح بذلك، قال: " ليس أحد من خلق الله إلا وهو يؤخذ من قوله ويترك، إلا النبي ﷺ فإنه لا يترك من قوله، إلا ما تركه

---

(١) السير (١٨/١٦١).

(٢) التمهيد (٧/١٢٩).

(٣) المرجع السابق (١٨/٣٤٥)

(٤) المرجع السابق (١٨/١٥٧).

① لعله يريد: سبق ترجيح أن المراد موضع منى كما هو المعتاد في الحج لا أن له قبلة.

② سألنا عن صلاة المسنون بعرفة.

(أدركنا أهل مكة لا يقصرون)

أحمد (وعند أهل مكة خيمة يقرءون فيها الصلاة)

هو ونسخه قولاً أو عملاً، والحجة فيما قال ﷺ، وليس في قول غيره حجة، ومن ترك قول عائشة في رضاع الكبير، وفي لبن الفحل، وترك قول ابن عباس في العول والمتعة....كيف يتوحش من مفارقة واحد منهم ومعه السنة الثابتة عن النبي ﷺ وهي الملجأ عند الاختلاف"[١]

٤- وإذا رجَّح قولاً ذكر أدلته ومرجحاته، ويذكر أدلة أصحاب المذاهب في المسائل الفقهية،خاصة أصحابه.

۞ مصادر المؤلف، وطريقته في الاستفادة منها:

كان منهج ابن عبد البر في نقله عن غيره من العلماء على قسمين:

١- أن ينقل عن أحدهم دون أن يعزو لمصدره، وهذا كثير جداً، حيث نقل كلاماً عن أحمد، والقاسم بن أصبغ، وأبي داود، وغيرهم دون أن يعزو لمصدر أو كتاب.

٢- أن يعزو ما نقله إلى مصدره ، وهذا أقل من سابقه، وممن نقل عنهم وعزا لهم في المجلد الأول:

أ- الطحاوي في كتابه "شرح معاني الآثار" [٢].

ب- أبو عبيد القاسم بن سلام في كتابه "غريب الحديث"[٣].

ت- وكيع في " مصنفه"[٤].

ث- أبو جعفر العقيلي، في "كتاب الصحابة"[٥].

كما نقل كثيراً من **كتب السنة**: كالكتب الستة ومسند أحمد، ومسند بقي بن مخلد، وغيرهم.

ونقل من بعض **كتب التفسير**: كتفسير الطبري، وابن سنجر، وبقي بن مخلد.

ومن **كتب الرجال والجرح والتعديل**: نقل من تواريخ البخاري، وكتاب الضعفاء للعقيلي، وغيرها.

ومن **كتب الآثار**: نقل من مصنف عبد الرزاق، وابن أبي شيبة، وغيرها.

ومن **كتب اللغة** : نقل من كتاب العين للخليل بن أحمد، وغيره.[٦]

---

(١) التمهيد (١/١٥٩).

(٢) (١/١٠٦)

(٣) (١/١٧٢)

(٤) (١/١٧٥)

(٥) (١/٣٩٤)

(٦) ذكر المغراوي أنه بصدد إخراج مصنف خاص بموارد ابن عبد البر في التمهيدن وطريقة تعامله معها. (فتح البر ١/١٣).

* مصادر المؤلف وطريقته في الاستفادة منها :-

(١) إما أن لا يفرد هذا الأمر

(٢) أن يفرد لها المصدر وهو قليل ومنه :

- شرح المعاني للطحاوي .
- تهذيب الكمال للمزي .
- مصنف وكيع .
- كتاب إصلاح الغلط .

* منهج المؤلف في مناقشة المخالفين :-

(١) أن يكون المخالفون لهم دليل وحجة ، فهؤلاء يبين قولهم ويذكر أدلتهم ويجيب عنها .

(٢) أن يكون المخالف شاذ ، فلا يهتم بها ولا يطيل في مناقشتها .

مع أدب جم ، وخلق رفيع .

۞ منهج المؤلف في مناقشة المخالفين:

كان ابن عبد البر رحمه الله يتعامل مع المخالفين بأدب جم، وخلق رفيع، خصوصاً إذا كانوا من الأئمة المشهود لهم بالإمامة والدين، ويمكن أن يقسم منهج ابن عبد البر في تعامله مع المخالفين على قسمين:

١- أن يكون المخالفون لهم دليل وحجة، فهؤلاء يبيِّن المؤلف قولهم ويذكر أدلتهم، ويجيب عنها.

٢- أن تكـــون المخالفـــة شاذة لا دليل عليها، فهذه المخالفة ينبّه عليها، وينكرها، ولا يطيل في مناقشتها؛ لوهائها وضعفها.

مثاله ذلك: قال ابن عبد البر: "وقالت طائفة لا يحج بالصبيان، وهو قول لا يشتغل به، ولا يعرج علـــيه لأن النبي ﷺحج بأغيلمة بني عبدالمطلب، وحج السلف بصبيانهم وقال ﷺفي الصبي:((له حج ولـــلـــذي يحجه أجر)) يعني بمعونته له وقيامه في ذلك به؛ فسقط كل ما خالف هذا من القول، وبالله التوفيق"[1]

۞۞۞۞۞۞

(١) التمهيد (١/ ١٠٤).

(الاستاذ)

منهج الإمام ابن عبد البر في كتابه: "الاستذكار"

۞ قيمة الكتاب العلمية، وعلاقته بالتمهيد:

لهذا الكتاب قيمة عظيمة، ومنزلة رفيعة -كسابقه التمهيد-، ومما تميز به هذا الكتاب ما يلي:

١- احتوى على مادة عظيمة في الفقه المقارن، وجَمع أقوال كثير من العلماء، ومنهم أصحاب المذاهب التي لم يكتب لها الانتشار، كمذهب الثوري، والأوزاعي، وغيرهما، كما تميز بنقل اختلافات الروايات في المذهب المالكي.

٢- تميز الكتاب بالصناعة الحديثية، فهو ليس كتاباً فقهياً تُذكر فيه الأقوال مجردة عن أدلتها وتمييز صحيحها من سقيمها، بل جاء الكتاب جامعاً بين الفقه والحديث.

٣- أنه قرَّب كتاب التمهيد، وسهلَّه لمن أراد الاستفادة منه، حيث إنه مرتب على أبواب الموطأ، بخلاف أصله التمهيد الذي رتبه مؤلفه على شيوخ الإمام مالك.

٤- أنه شرح جميع ما في الموطأ من الحديث المسند والمتصل، وغيره من المرسل والمنقطع والبلاغات، وأقوال الإمام مالك، بخلاف التمهيد -كما تقدم-.

٥- أنه توسع في ذكر الأدلة للأقوال المختلفة ومناقشتها.

أما علاقة هذا الكتاب بالتمهيد: فقد صرح المؤلف أن هذا الكتاب إنما هو اختصار للتمهيد حيث قال في مقدمته لهذا الكتاب: "فإن جماعة من أهل العلم وطلبه والعناية به من إخواننا، نفعهم الله وإيانا بما علمنا سألونا في مواطن كثيرة مشافهة، ومنهم من سألني ذلك من آفاق نائية مكاتباً أن أصرِّف لهم كتاب التمهيد على أبواب الموطإ، ونسقه، وأحذف لهم منه تكرار شواهده وطرقه..."إلى أن قال: "...مستوعباً مستقصى بعون الله إن شاء الله على شرط الإيجاز والاختصار وطرح ما في الشواهد من التكرار؛ إذْ ذلك كله ممهد مبسوط في كتاب التمهيد،والحمد لله، وأقتصر في هذا الكتاب من الحجة والشاهد على فقَر دالة، وعيون مبيِّنة، ونكت كافية؛ ليكون أقرب إلى حفظ الحافظ، وفهم المطالع- إن شاء الله- "[1]

فهذا الكلام يدل على أن الاستذكار مختصر للتمهيد، إلا أنه خالفه في الترتيب، وقد ذكر غير من واحد العلماء ذلك، حيث قال الذهبي: "وكتاب الإستذكار وهو اختصار التمهيد.."[2]

(١) الاستذكار (١٢/١).

(٢) تذكرة الحفاظ (١١٢٩/٣).

* منهج المؤلف في الكتاب إجمالاً:

(١) هو الاعتناء بتبييض موضوعه، وهو استذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار والآثار المروية، فيما تضمنه الموطأ من معاني القرآن والآثار، وشرح ذلك كله بالإيجاز والاختصار.

(٢) ذكر مقدمة تضمنت:
(أ) سبب التأليف.
(ب) منهجه في المذاهب.
(ج) ترجمة طرق الحديث وشواهده.
(د) ذكر استدلاله في فصل مسألة مالك ومنزلته.

(٣) ترتيب الأحاديث والأبواب: هو ترتيب الموطأ بروايتيه يحيى يحيى الليثي.

(٤) الشرح: يشرح فيذكر طرق الحديث وشواهده وعلله، ما يحتاج إلى التمهيد.

(٥) يبين معاني ألفاظه لا سيما أصول الفقه، ويتكلم في الفقه، ويتوسع ويقتضي فيذكر الخلاف داخل المذهب المالكي.

* منهجه في التراجم:

(١) لم يترجم لأحد منهم ترجمة واسعة، ولعله اكتفى بما سيأتي، ولم يترجم للرواة في الأسانيد اكتفاء بالتمهيد، أما من لم يرد في التمهيد فيترجم له ترجمة طويلة.

(٢) يضبط الأسماء التي قد تقع فيها وتشتبه.

(٣) تعليق على الرجال جرحاً وتعديلاً.

* طريقته في نقد أسانيد المتون والحكم على الأحاديث:

يخرج الكتاب بالصناعة الحديثية حيث كان يعد لأسانيد المتون.

(١) يبدأ بالحكم على الحديث صحة وضعفاً، اتصالاً وانقطاعاً، رفعاً ووقفاً.

(٢) إذا كان الحديث منقطعاً وصله أحد هم ذكره، ويفصل في التمهيد في الغالب.

(٣) يذكر أثناء الشرح أدلة كل قول في المسائل الخلافية، وقد يوسع في الدليل بإسناده، ونادراً ما يحكم عليه.

إلا أن الكتاب ليس اختصاراً بالمعنى المعروف للاختصار، بل قد تميز عن التمهيد، وزاد عليه في مواضع، منها: ذكره لأقوال العلماء من سلف الأمة وخلفها في مسائل الأحكام وغيرها، وتوسع في تحرير مسائل الفقه وعزوها لقائليها بصورة لا توجد في التمهيد، بينما تميز في التمهيد بذكر الأسانيد والطرق والشواهد بتوسع كبير، و لا نجد ذلك في الاستذكار، بل نجد المؤلف يحيل عليه في ذلك، فهما كتابان يكمل أحدهما الآخر، ولا يستغنى بأحدهما عن الآخر، ومن هنا يظهر الفرق بينهما، فالاستذكار اختصار للتمهيد في جانب الأسانيد، لكنه ليس اختصاراً له في جانب عرض خلاف العلماء في مسائل الأحكام وغيرها، بل يفوقه في هذا الجانب.

وذكر المغراوي صاحب"فتح البر"أن للاستذكار زوائد على التمهيد، فقال(١٩/١):"لقد أخرجت ما زاد الاستذكار على التمهيد مما شرحه أبو عمر بن عبد البر من الآثار في باب مستقل؛ لأن كل ما في الاستذكار من الأحاديث المرفوعة داخلة في التمهيد، وليس في الاستذكار من الجديد إلا أحياناً تقديم أو تأخير أو زيادة ألفاظ قليلة، ومعظمه إحالة على التمهيد، فهو ليس مختصراً للتمهيد؛ لأن طريقة الاختصار أن تُحذف الأسانيد، ويُذكر الأهم من المباحث في الباب، وهذا لا يوجد في الاستذكار أبداً"

منهج المؤلف في الكتاب إجمالاً:

١- من خلال عنوان الكتاب يتبين موضوعه، فعنوانه:"الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار وعلماء الأقطارفيما تضمنه الموطأ من معاني الرأي والآثار، وشرح ذلك كله بالإيجاز والاختصار"

٢- بدأ كتابه بمقدمة تضمنت أموراً، منها:

أ- سبب تأليف للكتاب.

ب- منهجه في تراجم الرواة.

ت- منهجه في ذكر طرق الحديث وشواهده وعلله.

ث- ذكر أقوالاً في منزلة وفضل موطأ الإمام مالك.

٣- رتب أحاديث الكتاب وأبوابه على ترتيب الموطأ، برواية يحيى بن يحيى الليثي.

* منهجي في تحليل الألفاظ :

(١) أعتني ببيان المعاني التي تحتاج إلى بيان . وبلغت (١١٢٠)

(٢) أذكر معناها في اللغة ومدلولها في الشرع وما يدل عليها من كلام العرب وأشعارهم .

(٣) قد يميل إلى الترجيح في بيان معنى بعض الكلمات .

* منهجي في استنباط الأحكام والفوائد :

(١) أقف عند متن الحديث ثم أتأمل في الحديث من الفقه . ثم أذكر الفوائد والأحكام الفقهية .

(٢) قبل عرضه الخلاف في المسألة يحرر محل النزاع فيها . فيذكر ما اتفقوا عليه و ...

(٣) عند عرضه للأقوال يقدم القول الذي يراه راجحاً .

(٤) ثم يذكر أقوال السلف من الصحابة ومن بعدهم . ثم أقوال أصحاب المذاهب الأربعة ويذكر دليل كل قول . باختصار وبيان مستند كل قول ثم يرجح ما يراه ويذكر الدليل غالباً .

(٥) أحياناً لا يرجح في بعض

(٦) يذكر الفوائد والآداب في الحديث إن كانت له علاقة بالأحكام الفقهية .

٤- لا يتوسع بذكر طرق الحديث وشواهده وعلله، بل يحيل في هذا إلى التمهيد، فقد فقال:"ولم أذكر في كتابي هذا شيئاً من معاني النقل وغوائله، وعلم طرقه وعلله، ولا من فضائل مالك رحمه الله وأخباره؛ إذ ذاك كله مذكور بأتم ذكر وأكمله في كتاب التمهيد، والحمد لله"[١]

٥- يبين معاني ألفاظ الحديث من أصول اللغة، ويتكلم على فقه الحديث، وما اشتمل عليه من مسائل بتوسع، ويعتني بذكر الخلاف داخل المذهب المالكي، ثم يذكر أقوال العلماء من الصحابة ﷺ ومن جاء بعدهم.

۞ منهج المؤلف في تراجم الرواة:

١- لم يترجم لأحد من الصحابة إلا نادراً، اكتفاءً بما ألفه في تراجم الصحابةﷺ،ولم يترجم للرواة المذكورين في إسناد الموطأ؛ اكتفاءً أيضاً بما ذكره في التمهيد، أما الرواة الذين لم يرد ذكرهم في التمهيد فإنه يترجم لهم، ولا يطيل، قال ابن عبد البر: " وأما أسماء الرجال فقد أفردنا للصحابة ﷺكتاباً موعباً، وكل من جرى ذكره في مسند الموطأ أو مرسله؛ فقد وقع التعريف به أيضاً في التمهيد،وما كان من غيرهم فيأتي التعريف بأحوالهم في هذا الكتاب إن شاء الله"[٢]

٢- قد يضبط بعض الأسماء التي فيها اشتباه، كقوله: "طلحة بن عبيد الله بن كَرِيْز، خزاعي تابعي شامي ثقة، وكَريز بفتح الكاف في خزاعة، وكُريز بضمها في عبد شمس بن عبد مناف من قريش.."[٣]

٣- تكلم على الرجال جرحاً وتعديلاً، وقد صنع محقق الكتاب د.عبد المعطي قلعجي فهرساً للرواة الذين تكلم فيهم المؤلف جرحاً وتعديلاً فبلغوا (١٦٠) راوياً.

۞ طريقة المؤلف في نقد الأسانيد والمتون، والحكم على الأحاديث[٤]:

مما تميز به الكتاب-كما تقدم- الصناعة الحديثة، حيث كان المؤلف ينقد أسانيد ومتون الأحاديث، ويبين عللها، بشكل مختصر، ويحيل التفصيل على التمهيد، وكانت طريقته على النحو التالي:

---

(١) الاستذكار (١/١٣)

(٢) السابق (١/١٢).

(٣) السابق (٤/٤٠٠).

(٤) من الأمثلة على ذلك: (١/١٤٣، ٣٤، ١٧١، ٢٣٨) (٤/٣، ٢٧، ٣٩٧) (٥/٢٤٨، ٣٥٣)

١- يبدأ المؤلف بعد سياقه للحديث-غالباً- بالحكم عليه صحة وضعفاً، ومن حيث الاتصال والانقطاع، والرفع والوقف، وقد لا يتكلم أحياناً.

٢- إن كان الحديث منقطعاً ووصله أحدهم فإنه يذكر من وصله، ويحيل إلى التمهيد في الطرق.

٣- يذكر أثناء الشرح-غالباً- أدلة كل قول في المسائل الخلافية، وقد يسوق الدليل بإسناده، وغالباً ما يحكم على الإسناد والمتن، وإن كان فيه علة ذكرها، ويرجح فيما وقع فيه الخلاف في رفعه ووقفه، وبين خطأ الرواة في الإسناد إن وجد.

۞ منهج المؤلف في تحليل الألفاظ[١]:

١- اعتنى ببيان الكلمات التي تحتاج إلى بيان وتوضيح، وقد بلغ عدد المفردات التي تكلم عنها أكثر من (١١٢٠) كلمة ومفردة، حيث جمعها محقق الكتاب د.قلعجي في فهرس غريب اللغة، وهذا يدل على عناية المؤلف بالغريب.

٢- يعرّف بمعنى الكلمة في اللغة، وبمدلولها في الشرع،ويذكر ما يدل عليها من كلام العرب وأشعارهم

٣- قد يحيل في بيان معنى بعض الكلمات إلى كتابه التمهيد.

۞ منهج المؤلف في استنباط الأحكام والفوائد:

١- بعد أن يتكلم على إسناد الحديث يقول: "وفي الحديث من الفقه" ثم يذكر ما دل عليه من الفوائد والأحكام الفقهية.

٢- قبل عرضه الخلاف في المسألة فإنه يحرر محل النزاع فيها، فيذكر ما أجمعوا عليه، ولم يختلفوا فيه ثم يقول: واختلفوا في...[٢]

٣- يقدم قول مالك -غالباً- عند عرضه للخلاف، ويذكر الروايات عنه إن وجدت.

٤- ثم يذكر أقوال السلف من الصحابة ومن بعدهم، ثم يذكر أقوال أصحاب المذاهب الأربعة وغيرهم، ويذكر دليل كل قول باختصار، ويناقش الأدلة، ثم يرجح ما يراه صواباً مع ذكر دليله -غالباً-.[٣]

---

(١) من الأمثلة على ذلك: (١/٣٨، ٣٢٤) (٣/٦٧) (٤/١٩، ٣٩٨) (٥/٢٤٥، ٣٥٤)

(٢) الاستذكار (١/٣١٤) (٤/٢٥٧) (٨/٣٥٠)

(٣) ينظر مثلاً (١/١٥٦، ١٦١، ١٩١، ١٩٤)

(الاستذكار)

مكانته العلمية وعلاقته بالتمهيد:

① احتوى على مادة علمية في غاية الأهمية، وجمع أقوال كثير من العلماء وأصحاب المذاهب التي لم يكتب لها الانتشار، كمذهب الثوري، والأوزاعي.

② تميز الكتاب بالصناعة الحديثية. فهذا كتاب فقهي تذكر فيه الأسانيد بحسب.

③ أنه مرتب كتاب التمهيد، وعليه فمراد الاستذكار (وهو) حيث إنه مرتب على أبواب الموطأ.

④ شرح جميع ما في الموطأ من الحديث المسند والمتصل والمرسل والمنقطع والبلاغات.

⑤ توسع في ذكر الأدلة بالأقوال المختلفة وهذا ظاهر.

أما علاقته بالتمهيد:

فقد صرح المؤلف بأنه اختصار للتمهيد حيث قال في المقدمة:

عند ذكر سبب تأليفه لهذا الكتاب: وإنما أصرفهم كتاب التمهيد على أبواب الموطأ وتقريبه، وأحذف لهم منه تكرار شواهده وطرقه - للأشكال - على شرط الإيجاز والاختصار وطرح ما فيه من التكرار..

فهذا دليل على أنه اختصار له ولكن هل هو اختصار في الترتيب وقد ذكر ذلك غير واحد من أهل العلم أم هو اختصار في التمهيد؟

لا أعلم أحداً نص بالمعنى المطلوب على تحديد هذا التمهيد وإنما ورد النص في مواضع منها:

④ ذكره الأثرم العلامة صاحب أحمد وخلفه في مسائل الأحكام.

⑤ توسع في تحرير مسائل الفقه وعزو أقوالها غالباً بصورة لا توجد في التمهيد.

- فبينما تميز التمهيد بذكر الأسانيد والطرق والشواهد بتوسع، فلم يستغن بأحد هذين الأمرين عن الآخر، ذكر الغرياني أنه جمع مادة الاستذكار من التمهيد ما عدا ما ذكر في باب مستقل

٥- قد يذكر المسألة ويسوق الأقوال المختلفة فيها دون أن يرجح.[١]

٦- يذكر ما في الحديث -إضافة للأحكام الفقهية- الفوائد والآداب.[٢]

۞ مذهب المؤلف العقدي، وتأثيره في الشرح:

تقدم الكلام على مذهب الحافظ ابن عبد البر، وأنه إمام من أئمة السلف، أهلِ السنة والجماعة، ومن الراسخين في العلم، ولا يعكر على ذلك سوى وقوعه في تأويل بعض الصفات، وهي قليلة، مغموره في بحر علمه وفضله.

والكلام على تأثير عقيدته في كتابه التمهيد ينطبق على تأثيرها في كتابه الاستذكار.[٣]

۞ مذهب المؤلف الفرعي، وتأثيره في الشرح:

تقدم الكلام على مذهب الإمام ابن عبد البر الفقهي، وأنه لم يكن مالكياً متعصباً، بل متى ما ظهر له الدليل اتبعه، وإن خالف مذهبه، ومن أمثلة ذلك مخالفته لرأي مالك في تفضيل مكة على المدينة.[٤]

۞ مصادر المؤلف، وطريقته في الاستفادة منها:

اعتمد الحافظ ابن عبد البر في كتابه على مراجع كثيرة، وكانت طريقة تعامله معها كطريقة تعامله معها في التمهيد -وتقدم بيان ذلك- .

وقد أحصى محقق الكتاب د.قلعجي الكتب التي صرح بالنقل عنها ابن عبد البر في هذا الكتاب فبلغت ٥٧ كتاباً، وذكرها في فهرس الكتب.[٥]

والله تعالى أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد .

۞۞۞۞۞۞

---

(١) ينظر مثلاً: (١/١٥٣، ١٣٤، ١٤٨)

(٢) (٥/٣٥٤)

(٣) ينظر مثلاً تأويله لصفة الضحك (٥/٩٧)، وأيضاً (٨/٥٩٦)

(٤) الاستذكار (٢/٤٦٤)، ومسألة أخرى (١/٢٥٩).

(٥) الاستذكار (٢٩/٢٥٨)